# شوف تشوف

رشيد نيني
r_niny@yahoo.fr

# اللي بغا الأمن الله يسلطو عليه...

لدي شكوى من بعض رجال شرطة القرب يريدون إيصالها إلى رئيسهم الجنرال العنيكري، وتتعلق بالكسوة التي يشتغلون بها. وملخص الشكوى أن هذه الكسوة تخلق لهم مشاكل عندما يريدون الذهاب إلى المرحاض خلال أوقات العمل، فهي مصممة لحالات الطوارئ المتعلقة بمكافحة الشغب، لكنها للأسف غير مصممة لحالات الطوارئ الطبيعية التي يمكن أن تباغت الإنسان وتضطره إلى دخول أقرب دورة مياه. لهذا طلبوا مني أن أرفع شكواهم إلى الرئيس لعله يهتدي إلى لبسة بتصميم جديد تكون مجهزة بفتحات من الخلف والأمام تسمح لمستعمليها بفتحها وإغلاقها بسهولة أكثر. هذا من جهة. ومن جهة ثانية يشكو بعضهم الآخر من قلة الشي. أي أنهم يجدون أنفسهم مجبرين على البقاء جالسين داخل سياراتهم الكات كات يشغلون وقتهم بالتراسل بينهم بالإسميس وملاحقة البنات بنظراتهم وأحيانا بغزلهم. وبعضهم الآخر يفضل أن يقتل الوقت باللعب بمسدسه، وأحيانا يتحول هذا اللعب إلى مندبة مثلما حدث يوم الجمعة الماضي بأكادير عندما صوب واحد من شرطة القرب مسدسه نحو زميله ليلاعبه فإذا به يطلق عليه رصاصة طائشة أردته أرضا.

الرصاص العشوائي لا ينطلق فقط من مسدسات بعض رجال الشرطة في ساعات الملل، وإنما أيضا ضد المتظاهرين الغاضبين. وهذا ما وقع السبت الماضي في آيت ورير بنواحي مراكش عندما خرج أكثر من ألف مواطن في مسيرة عفوية للمطالبة بالأمن. ويبدو أن مصالح الأمن لبت مطالب ساكنة آيت ورير على الفور وكأنها تقول لهم :

– بغيتو الأمن هاكو شبعو الأمن...

فسلطت عليهم عصي قوات التدخل السريع ورصاص طائرات الهيليكوبتير والقنابل المسيلة للدموع. ياك بغيتو غير الأمن، هاهو جبناه ليكم. شبعوه مزيان باش عمركم ماتبقاو تطلبوه. اللي بغا الأمن الله يسلطو عليه.

والمدهش في مثل هذه الحركات الاحتجاجية العفوية أنها لم تعد تطالب بالشغل أو الماء وإنما فقط بالأمن. فقد شاهد سكان آيت ورير كيف سرق اللصوص خروف مواطن كان ذاهبا إلى السوق ونهبوا أمواله قبل أن يقتلوه ويرموا بجثته في الطريق. وشاهدوا كيف أن رجال الدرك تركوا جثة القتيل دون معاينتها من السادسة صباحا إلى الثانية بعد الزوال. ثماني ساعات لكي يأتي الدرك وينجز محضرا للمواطن القتيل، وكأن الأمر يتعلق بجثة حمار صدمته شاحنة في الطريق وليس جثة مواطن يحمل بطاقة التعريف الوطنية. ما أراد المواطنون في آيت ورير إيصاله إلى ناس الرباط هو أنهم تعبوا من جهاز أمني مرتشي يرعى اللصوص ويحمي تجار المخدرات ويتستر على شبكات الدعارة ويعامل المواطنين مثل الحشرات. فكان لابد من هذه المسيرة. فكان الرد سريعا، وجاء الأمن، لكن ليس لحماية المواطنين وإنما لترويعهم، وأطلقوا القنابل المسيلة للدموع فوق أسطح المنازل وتسببوا للأطفال في الاختناق. والواقع أن الأمن عندنا يتسبب للمواطنين في الفزع حتى وعناصره في طور التكوين، وقبل أسبوع اضطر السكان الذين يقيمون بجانب إحدى مدارس تكوين رجال الأمن بالقنيطرة إلى التنقل إلى المستعجلات بسبب غارات خنقتهم كان يتدرب تلاميذ الشرطة على استعمالها في معهدهم. فقد أصر المعهد على أن يصل السكان المجاورين له حقهم من باروك سيدي العنيكري الذي يوزعه هذه الأيام على مناطق متنوعة من المغرب. وكأنهم يقولون لهم :

– اللي ماشم قنبولنا فالزنقة حنا نجيبو ليه حقو حتى لقاع الدار...

المسيرات الشعبية العفوية لم تعد حكرا على مناطق المغرب غير النافع وإنما وصلت إلى تخوم الرباط حيث المغرب النافع لبعضهم، فقد شهدت مقاطعة لعيايدة بسلا الجديدة هي الأخرى تظاهر المئات من أبناء المنطقة ضد انعدام الأمن وانتشار الجريمة. نساء يتعرضن للسرقة في واضحة النهار، أطفال يغتصبون في المنعطفات من طرف منحرفين مخمورين، وكالات بنكية تهاجم ببنادق الصيد. السيبة صافي.

وبينما يقع كل هذا بماذا تجيب السلطات الأمنية على مطالب المواطنين، بالقنابل المسيلة للدموع، وكأن دموع النساء اللواتي فتح اللصوص وجوههن بشفرات الحلاقة لا تكفيهم، وكأن دموع الأطفال الذين اغتصبت براءتهم في المنعطفات المظلمة لا تكفيهم، وكأن دموع الرجال الذين سرقت أرزاقهم لا تكفيهم.

وحتى لا أساهم أنا الآخر مع العنيكري في إبكائكم دعوني أختم بهذا الخبر الذي جاء من فرنسا. فقد بدأت قوات التدخل السريع الفرنسية بتجريب استعمال مسدسات من الفلفل لتفريق المتظاهرين. يعني كوابس ديال الفلفلة السودانية. اللي جات فيه شي قرطاسة يبردها ويهرب. فهذا الرصاص يبقى أخف ضررا من الرصاص الحي الذي تطلقه قوات التدخل السريع عندنا في السماء لتفريق المتظاهرين. كما أن قوات التدخل يمكنها أن تستعمل الفلفلة السودانية للرفع من سرعة رجالها عند الركض خلف المتظاهرين للقبض عليهم. ولكي نشرح لهم طريقة الاستعمال سنحكي النكتة التالية :

يحكى أن فلاحا اشترى مجموعة من الحمير من السوق، لكنه لاحظ أنها حمير كسولة جدا وتتحرك ببطء. فجلس يندب حظه إلى أن وقف عليه عطار يبيع الفلفلة السودانية وسأله عن سبب حزنه، فحكى له مشكلته مع حميره. فما كان من العطار سوى أن اقترح عليه حك الفلفلة لحميره في المؤخرة لكي تسري فيها الحيوية. كذلك فعل. لكنه اكتشف أن حميره بمجرد أن سرت معها الحراقية حتى تراكضت بجنون وتركته، فنصحه العطار بأن يحك هو أيضا واحدة وأن يلحق بهم. فحك واحد وطار من مكانه ولحق بالحمير وسبقهم، وعندما مر من أمام باب بيته رأى زوجته تشطب العتبة فصاح بها وهو يطلق ساقيه للريح :

– وا فاطنة، إلى جاو الحمير شديهم أنا راه مازال تابعاني الطريق...